

العوامل التاريخية لنشأة مدارس الزهد في المشرق الإسلامي، وأثرها على ظهور التصوف

الدكتور عبد الرضا حسن جواد الحسيناوي
جامعة القادسية - كلية التربية - قسم التاريخ

تمهيد

هذا البحث تبيان لزهد المسلمين بأمور الدنيا، وتحقيرهم أياها، والتقليل من شأنها، وعدم تأثرهم بزخرفها ومباهجها، وترجيحهم ما نصته فيم السماء والاهتداء بها، وتسديد الخطى نحو التوفيق في اليوم الآخر، والفوز برضى الله عز وجل. فالزهد بالدنيا هو الصلاح في الدنيا والفلاح في الآخرة وهذا ما يتمناه كل مسلم آمن بالله وبسنة رسوله الأكرم 1.

أن الزهد الإسلامي ولد مع ولادة الإسلام وكان وما زال من مكارم الأخلاق، عززه وأرسى دعائمه نبينا محمد 1، وظهر الزهد إسلامياً وجزءاً من عقيدة سمحة جوهرها الأخلاق والعدالة والمساواة بين أبناء المجتمع الواحد، وهذا ما أمر به الصحاب الكرام M كما امنوا بمبادئ دينهم الإسلامي الحنيف.

لقد نمت وانتشر الزهد على هذه الأسس وظهرت له مدراس كبرى لكل منها فلسفتها وطرقها، موزعة في أقاليم الدولة العربية الإسلامية، وقد تركت آثاراً ايجابية على مجتمعاتها، من خلال اعتمادها على ما نصه القرآن الكريم وما أكدته السنة المحمدية الشريفة.

ففي مدرسة المدينة سارت هذه الانطباعات سيراً متدرجاً أدى إلى نهج الزهد واكتماله في عصر الخلافة وظل ذلك المنهج أساساً لتلك المدارس، ومقاوماً لكل المؤثرات حتى انتقال مركز الخلافة إلى دمشق في العهد الأموي بعد ذلك ظهرت مدرسة البصرة حيث تميزت بتطويرها نزعة

الخوف إلى الحب الإلهي لأنهم كانوا يحسون بثقل الأثم الذي عانوا منه، وجمعت هذه المدرسة بين الخشونة الزاهدة الصلابة القاسية، وبين الترف القائم العائم في القداسة الشهوانية.

أما مدرسة الكوفة في الزهد الذي كان ذو شكل متميز مستقل عن الزهد الإسلامي بسبب الظروف السياسية التي مرت هذا العصر الإسلامي، وظروف نشوء الكوفة بالقرب من مركز مسيحي سابق هو الحيرة مركزاً لتجمع نصارى "نجران" التي نزلت بحقهم سورة المباحلة، فظروف الكوفة أيقظت ضمير الكوفيين وأشعرتهم بذنوبهم بقتل إمامهم الحسين A بأيديهم ظلماً. ذلك الإمام الذي دعوته لينصروه، ويكون خليفة، وهو ابن خليفته الذي جعل بلادهم (الكوفة) عاصمة للإسلام.

جميع هذه المدارس أسهمت في تطور حركة الزهد الإسلامي والفكر العربي الإسلامي معاً منذ ظهور الإسلام حتى بواكير القرن الثالث الهجري.

مدرسة المدينة

لا شك إن الإسلام وفر بكفاية العناصر الجوهرية لنشوء الزهد الإسلامي، وقد سد حاجة العرفان الصوفي، وإن النصوص القرآنية والحديثية التي اضطلعت بها المهام لا تكاد تدع زيادة للمستزيد، حيث ترك الإسلام انطباعاته في الجيل الأول، ونرى أن هذه الانطباعات سارت عبر التاريخ سيراً متدرجاً أدى إلى مرحلة النضج والاكتمال. وهنا يمكن استبعاد المؤثرات الأجنبية، ووصول التصوف الإسلامي إلى ما وصل إليه في القرن الثالث الهجري كان معتمداً على قوى الدفع الإسلامي خلال العصور، وعلى عوامل داخلية في بيئة المسلمين^(١).

وكان يؤكد أنماط السلوك التي تتميز بسمات خاصة في بدايتها، وسيلتها وغايتها الزهدية، الأشعار التي أنشأها وأنشدها الزهاد العباد التي صورت آراءهم في الحياة والناس وفي المجاهدات والرياضات والمعارف التي تحقق لهم من خلال ذلك.

وروى عن النبي 1 قوله: (ولكل نبي رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد)، والمعروف من سير كبار بعض المجاهدين في الإسلام إن الجهاد ينظر إليه بنفس النظرة التي نظر بها فيما بعد بالزهد ومميزات هذا الزهد هو التعبد والأخلاق. (وقد ظهرت في هذه الحقبة مدارس المدينة، والبصرة والكوفة على التوالي)^(٢). فمدرسة المدينة كان منهجها مستمداً من القرآن الكريم والسنة النبوية. وكان النبي 1 وصحابته المثال لذلك المنهج وزهاد الصوفيين والمسلمين. وظل ذلك حتى انتقال الخلافة من المدينة إلى دمشق وحتى العهد الأموي وظل الأتقياء متمسكين بذلك المنهج وقاوموا كل مؤثرات أمتهم.

وكانت طوائف الزهاد والعباد والتائبين الذين حفل بهم القرن الأول الهجري وحتى القرن الثاني الهجري كان أهل عمل ومجاهدة أكثر من أهل قول ونظر. ومن هنا قلت أشعارهم وقصرت أنفاس نشرهم لكنها كانت كافية لتعريفنا على مذاهبهم. فما انتهى العصر الأموي إلا وكان المذهب واضح الاتجاه بارز القسمات وكانت قد ظهرت في عهد الرسول الكريم 1 نماذج من العباد والزهاد

وتميزت بالحرص والتشدد والحمل على الجسد والتقشف وإبعاد النظر عن الدنيا باتجاه الآخرة. ومن ذلك ما كان يفعله عبد الله بن عمر الذي كان يصوم النهار ويقوم الليل ويختم القرآن كله في ليلة^(٣).

وكانوا بصورة عامة أهل دين وزهد وورع، حيث كانوا يرون الرسول 1 وحياته كلها زهد وتقشف وقد نظر جمهور الصحابة إلى حياة رسول الله 1 وقلدها وكانت حياة الزهد والتقشف التي يحيها الرسول 1 ليس بسبب الفقر وإنما ليساوي نفسه برعاياه. وهذا ما سار عليه من بعده الخلفاء الراشدون، ونلتمس هذا جلياً في سيرة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب K الذي كان يحكم بلاد متراكمة الأطراف وهو يرتدي لباس الورع والزهد وترك الدنيا^(٤).

على أننا نلتمس هذا واضحاً في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب B الذي لا يختلف فيه اثنان في زهده وورعه وسمو النفس ونكران الذات. حيث يصف لنا ذلك ابن أبي الحديد بقوله وإمام الإمام علي B (بالدنيا فهو سيد الزهاد وبدل الإبدال واليه تشد الرحال، وعنده تنفض الاملاس، ما شبع من طعام قط وكان اخشن الناس مأكلاً وملبساً)، قال: عبد الله بن أبي رافع (دخلت إليه يوم عيد فقدم جراباً مختوماً فوجدنا فيه خبز شعير يابس مرضوضاً. فقدم فأكل، فقلت يا أمير المؤمنين فكيف تختمه. قال: خفت هذين الولدين ان يلقياه بسمين أو زيت، وكان ثوبه مرقوعاً بجلد تارة وبليف أخرى، ونعلاه من ليف وكان يلبس الكرياس الغليظ)^(٥).

ومن يتصفح نهج البلاغة ويقرأ خطب الإمام علي B يجد نماذج واضحة للزهد الإسلامي حيث يقول: (أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت بوداع. وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع إلا وإن اليوم المضمار، ونجد السباق والسبقة الجنة والغاية النار، أملاً من ثاب خطيئته قبل عتبته إلا عامل لنفسه قبل يوم يؤسه..^(٦)).

والإمام علي B يبتغي في هذا اللون الوعظي ليعرف الناس مواقعها ليزهدوا في الدنيا، والزهد الذي يريده الإمام غير الزهد في وعي العامة من الناس. فالزهد في وعي هؤلاء لن يكون موقفاً سلبيًا في الحياة يشك في الإنسان إمكانيات الخلق والإبداع ويحيله إلى إنسان متذائب واهب، لكنه زاهد في نظر هؤلاء تستدعي صورة كائن اقل ما يقال فيه انه عالة على المجتمع.

وقال عن الزاهدين: أن الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطاً والتراب فراشاً. والماء طيباً وفوضوا الدنيا تفويضاً^(٧).

وقال عن الجنة ومن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات، ومن راقب الآخرة سارع في الخيرات.

وقال لابنه الحسن: (يا بني استغن عن شئت تكن نظيرة، وسل من شئت تكن حقيره، وأعط من شئت تكن أميره)^(٨).

ومن تواضعه وزهده في الدنيا انه دخل عليه أحد من أصحابه قال: كيف أصبحت يا أمير المؤمنين، قال: أصبحت ضعيفاً مذنباً، أكل رزقي وانتظر اجلي، قال: ماذا تقول بالدنيا؟ قال: وما قول في دار أولها غم وآخرها موت، من استغنى فيها نتن. ومن اقتصد فيها حزن، حلالها حساب، وحرامها عقاب^(٩). وهناك أكثر من صورة وخطبة توضح لنا كيف كانت حياة الإمام علي B كيف حاله من الدنيا.

أن ابرز دليل على تمسك الزهاد بعد انتقال الخلافة من الكوفة إلى دمشق هو سيرة أبو ذر الغفاري (ت: ٣١هـ) الذي قضى الشطر الأكبر من حياته زاهداً^(١٠).

فقد عد B من الزاهدين الذين لقبوا أنفسهم حراساً على الإسلام. ومن السابقين الأولين^(١١) الذين ذكر في التعبير عن صفاء روحه وانه كان موحداً قبل الإسلام^(١٢).

ومنهم عمار بن ياسر الذي عذب من اجل الإسلام^(١٣) ، ثم استشهد في صفين مؤمناً ومصدقاً لنبوۃ النبي 1 له بقوله: (تقتلك الفئة الباغية)^(١٤) ، ويعد صاحب رسول الله 1^(١٥).

ولا بد لنا من ان نلقي ضوءاً على بعض الصحابة منهم: سلمان الفارسي، فقد اتسمت حياته بالبساطة والزهادة، فقد كان أمير المدائن (على زهاء ثلاثين ألف ومع ذلك يخطب الناس في عباءة يفترش بعضها، وكان يأكل من شغل يديه، ويستظل بالفيء حينما دار، ولم يكن له بيت)^(١٦) ، ومن أقواله التي تنبئ عن حقيقة حاله قوله: أوصاني خليلي المصطفى أن لا يكون متاعي من الدنيا إلا كزاد الركاب، ويذكر عند نزول هذه الآية القرآنية [وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ] صاح سلمان صيحة

ووضع يده على رأسه ثم خرج هارباً ثلاثة أيام^(١٧) ، وهذه هي الصعقة عند الصوفية وتتطور هذه الظاهرة فيما بعد وتنتشر في مجالس السماع حين يسيطر الوجود على بعض الذاكرين من الصوفية لشدة شكرهم وفنائهم في الله^(١٨).

وبهلول بن ذؤيب يدخل على النبي 1 وهو يبكي بكاء الثكلى وحين سأله النبي عن سر بكائه قال: (يا رسول الله... لقد ركبت ذنوباً أن يأخذني الله ببعضها... خلدني في جهنم ولا أرى إلا أنه سيأخذني...) ^(١٩) ، ثم يمضي إلى الجبال مرتدياً مسحاً فيضل يده إلى عنقه بالحديد ينادي: (يا الهي وسيدي ومولاي.. هذا بهلول مغلولاً مسلسلاً معترفاً بذنوبه) ^(٢٠)... والحولاء بنت ثويت كانت تقيد نفسها بحبل حتى لا تغلبها غفلة النوم وتقطع عبادتها.. وحين حدثت عائشة O: (عليكم في العمل ما تطيقونه فان الله لا يمل حتى تمل وأحب العمل إليه، دوامه وان قل) ^(٢١).

وعن انس قال: (دخل الرسول المسجد فإذا بحبل ممدود بين ساريتين فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا: لزينب إذا فترت تعلقت به، فقال النبي: لا... حلوه ليصل أحدكم نشاطه... إذا فتر يقعد) ^(٢٢) وربط أبو لبابه نفسه إلى سارية مسجد في المدينة وبقاؤه على هذا الحال حتى عودة الشعور إليه بان الله غفر له لشعوره بالخطيئة) ^(٢٣).

نموذج آخر للزهد هو الربيع بن الخيثم، الذي كان يحمل حملاً للصلاة، وهو مصاباً بالفالج، وقد قيل له: قد رخص لك فيقول: قد علمت ولكني اسمع النداء للفلاح.

وذاك وصلة بن أشيم (تابعي) يخرج إلى الجبانة فيتعبد بها حتى يموت ^(٢٤) وكان يصيح بعدد من كل ميت ويقول:

فان تنجي منها تنج من ذي عزيمة وألا فاني لا أخالك ناجياً ^(٢٥)

وقد كان شعر الرعيل الأول الذي حفظته المصادر خير معبر عن نفستهم إزاء حقيقة زهدهم والاستشهاد في سبيل دعوة الإيمان، وأبان عن زهد شامل كامل في الدنيا، وحب شامل وكامل لله تعالى وكان قد عبر حبيب بن عدي (صحابي) حين استعد القوم لصلبه:

لقد جمع الأحزاب حولي والبوا قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وقد خبروني الكفر والموت دونه وقد ذرفت عيناى من غير مجزع
فلسـت أبالي حين اقتـل مسلما على أي جنب كان في الله مصرعي^(٢٦)

وكانوا الصحابة الأبرار قد سجلوا حسابهم النفسي ومقارعتها ومناشدتها التأسى بالسابقين.
عند شعورهم بتردها عند مواجهة الموت، لأنها نفس بشر.

ويقول عبد الله بن رواحه، صحابي:

يا نفس لا تقتلي تموتي هذا جمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت ان تفعلي فعلها هديت^(٢٧)

وأويس القرني: تابعي ضارب بذقنه إلى صدره، رام بذمته إلى موضع سجوده، واضعاً يمينه
على شماله، يتلو القرآن، يبكي على نفسه، متئزراً بازار صوف ورداء صوف مجهول في الأرض،
معروف في السماء، لو اقسم على الله لام قسمه^(٢٨).

نستنتج من هذه الصورة ومن هذه الرؤية من ان خصائص التصوف في العصور المتأخرة
تتسم بالتواضع، والزهد والورع، الصوفي مفرط في التأمل باحث عن المعرفة له الشفاعة، وصاحب
كرامة، فلا شك انه هذه التفصيلات من عمل العصور المتأخرة.

فلقد شارك أويس الإمام علي B صفيـن وقتل فيها^(٢٩). فماذا تدل هذه الصورة؟ ليس إلا اختفاء
الملاح بصورة صوفية مبكرة.

ومن النصوص القيمة عن أصول التصوف عند زهاد هذا الجيل حديث عون بن عبد الله بن
عتبة (تابعي) إلى نفسه وحديث نفسه إليه ويقع هذا الحديث في خمس صفحات في الحلية^(٣٠) منها.
(ويحيني ان حجت يوم القيامة عن ربي فلم يزكني ولم ينظر إلي، ولم يكلمني، فأعوذ بنور ربي من
خطيئتي)^(٣١).

انه تيقظ صادق انه من بواذر تصوف إسلامي كما عده المتصوفة، مرتبط بجذور الزهد الإسلامي، والذي ذكرناه جزء من معان لها تأثير في عرف الصوفية.

ومنها عرفنا كيف أمكن للصوفية تزويد الأدب بفن جديد يمكن تسميته أدب المناجاة^(٣٢). وهكذا كانت جذور التصوف الإسلامي ممتدة إلى مناهل الزهد الإسلامي والزهاد الذين كانوا يعيشون في حياة أخرى داخل حياتهم. يجدون فيها العزاء، ويعيدون إلى القيم ثباتها، وإلى الأوضاع استقامتها، وإلى الدين سيطرته. وجدوا في عالمهم هذا آفاقاً رحبة، أراحت أفئدتهم من مشاهد التفتيل والتمثيل والتصليب وأبعدتهم عن تطاحن الأحزاب السياسية والمذهبية، والفتن والحروب الأهلية والقبلية وتعصبها. وبيئت لهم الحق وعدم اختلاطه مع الباطل، وضعف إسرائفهم في تقدير الدنيا بشكل أنساهم الدين، كان الزهاد قد نهلوا من مدرسة الإسلام كما ذكرنا وأحكام كتاب الله والسيرة النبوية وسنتها الكريمة، وازوروا عن الحياة والأحياء وكان ذلك بدايات الخلوة والانعزال التي تطورت فيما بعد إلى تصوف إسلامي.

تاريخ الزهد في البصرة :

البصرة شقيقة الكوفة فقد مصرت عام ١٦هـ في وقت يقارب من تمصير الكوفة عام ١٧هـ من قبل القائد عتبة بن غزوان^(٣٣) وكانت البصرة معسكراً كالكوفة للجيش العربي الإسلامي الفاتح المتجه إلى بلاد فارس لغرض نشر الإيمان ومبادئ القرآن والإسلام.

وكانت عناصرها عربية كالكوفة، وبنيت بالقرب من ميناء الأبله كما بنيت الكوفة بالقرب من الحيرة وبابل، وصارت البصرة والكوفة تحت حكم والي واحد. وفيما بعد هذا فقد كان فارق بين هذين المصريين واسع جداً^(٣٤).

وكان اتجاه الكوفة إيماني قريب الشبه من الغنوسية* أما البصرة فاتجاهها عقلياً فلسفياً واضحاً، وكان منطلق التحرك الديني في البصرة، ومن هنا وجدنا الأقطار الجديدة تغلب عليها المسحة البصرية^(٣٥).

وكانت الكوفة كالبصرة أبدعت في اتجاهاتها النحوية واللغوية لاستغنائها، تطلب المعرفة العادية في هذين العلمين نجد البصرة اعتمدت هذين العلمين على قواعد الاستقراء والتنظيم الذي بدأ من نقطة البدء حتى النهاية. وفوق هذا اقترن تاريخ البصرة بكونها منفى لأصحاب البدع في الإسلام وإليه

أول من قال: بالقدر في تبرير سكره من قبل الخليفة عمر بن الخطاب ٨ واليه نفي رجل كان يفتن النساء في المدينة^(٣٦) ويذكر فيها عادات كانت منطلقة من التفسخ الأخلاقي والاجتماعي في هذه البيئة الإسلامية فضلاً عن وضوح العنصر الفارسي فيها وأثره في تشكيل هذه الظواهر هناك^(٣٧) وقبل ان نعرض لملامح الزهد الصوفي في البصرة ينبغي ان نلاحظ في هذه المدينة، إن الشيء الوحيد الذي ذكر عن بعض زهادها يطيلون شعورهم ولا يدخلون الحمام علما ان تقصير الشعر والنظافة من أهم خصائص المسلم.

إضافة إلى ذلك فقد جمعت البصرة بين طبيعتين (بين الخشونة لزاهدة الصلبة القاسية الإيمان وبين الترف القائم العائم في أوداء القداسة الشهبانية)^(٣٨).

وقد تميزت مدينة البصرة بعدة خصائص فقد وصفت بالرفاه الاقتصادي بأنها كانت خير البلاد للجائع، والغريب المفلس، وإذا لاحظنا ان البصرة لم تشارك مشاركة حقيقية في الحروب ولم تعان من ويلاتها، ولم ينصب عليها سخط الدولة مهما أسهم في نمو تجارتها وزيادة ثروتها.

وسادت بها بتقادم السنين أجواء اللهو والترف فقد كانت تضم ألواناً متقابلات. حيث يصنف ذلك احمد أمين بقوله: إذ كانت مسجد وحانة، وقارئ وزامر، ومتهجد يرتقب الفجر ومضطجع في الحقائق، وساهر في تهجد، وسامر في طرب، وتخمة من غنى، ومسكنة من إملاق، أوشك في دين وإيمان في يقين^(٣٩) في حين كانت الكوفة على العكس التي فرضت عليها الذنوب الجماعية واليأس من المغفرة^(٤٠).

وقد تأثرت مدارس البصرة إلى حد ما بالثقافة الهندية خاصة من الناحية العلمية من التصوف حين اخذ الصوفية مبدأ تعذيب البدن في الصوم ونحو تطهير النفس والتخلص من آفاتهما والصعود إلى

عالمها العلوي وفي البصرة ابتعد الصوفية عن الاشتغال بالسياسة وحاولوا إقامة التصوف على أساس عقلي وديني معتمدين على الكتاب والسنة وسيرة الصحابة. وابرز شخصية في هذه المدرسة هو الحسن البصري المتوفى سنة ١١٠ هـ فقد وصفه أبو نعيم الأصفهاني بأنه (اليق الهه والشجن، عديم النوم والوسن)^(٤١) حيث كان الخوف لا يفارقه وقد أعطى الشعراني وصفا دقيقا لهذه الحالة التي كان يعيشها بقوله: (قد غلب عليه الخوف حتى كأن النار لم تخلق إلا له وحده)^(٤٢) وقد عده احد الباحثين انه (صاحب مذهب قوامه الخوف والحزن)^(٤٣).

الذي عبر عنه أبو الفيض بأنه (الصوفي الكبير)^(٤٤). وقد وصفه احد أصحابه بقوله (لو رأيت الحسن لقلت قد بث عليه حزن الخلائق من طول تلك الدمة وكرة ذلك التشنج)^(٤٥) وقد كانت آراؤه وتصوراته تنصب كذلك في هذا المجال من نبذ الدنيا والتهيؤ للأخرة حيث يقول: (الدنيا مطيتك إلى الله فان ركبتها حملتك وان ركبتك قتلتك)^(٤٦)، وهذا يعبر بوضوح في صراع المؤمن مع الدنيا وقد تعلل سبب نبرة الحزن عند الحسن البصري وذلك بسبب ابتعاد الناس عن روح الدين وانغماسهم في اللهو والترف وانصرافهم إلى الدنيا فكان يقارن ما كان عليه السلف الصالح وما آلت إليه الأمور في عصره فيقول: (لقد أدركت أقواماً ما أنا عنده إلا لص)^(٤٧) لذلك نلحظه حسبما تذكر الروايات التاريخية انه: (مكث ثلاثين سنة لم يضحك وأربعين سنة لم يمزح)^(٤٨).

مما تقدم نلحظ إن بواذر الزهد الصوفي قد أخذت تنضج شيئاً فشيئاً وان لم تظهر كتيار منظم له أسسه ومميزاته وقواعده كما ظهر بعد ذلك وبصورة جلية خلال العصر العباسي وتحديد بدايات القرن الثالث الهجري. والشيء المهم الذي نحاول ان نذكره ونؤكد عليه انه نزعة الزهد هي البذور الأولى للتصوف على ان المسلمين في صدر الإسلام والتابعين وممن ظهر فيه بعد ذلك نزعة الزهد والتقوى والورع ونبذ الدنيا ومتاعها لم يكونوا كما يتصور البعض ولم يضعوا تعبيرات واصطلاحات خاصة بهم. وأهم من كل ذلك انه لم يكونوا له اسم خاص وان اسم الصوفي حكمة التصوف والعرفان من اصطلاحات المرحلة التالية^(٤٩).

ويمكن ان نعد هذا العهد عصر نهضة التصوف الإسلامي الأولى حسبما لمسناه واضحا وجليا خلال الصفحات السابقة في بحثنا هذا، ولان هناك فرقا واضحا بين التصوف والزهد. في الزهد بعد عن الدنيا لكسب ثواب الآخرة، والتصوف زهد في الدنيا لكسب رضا الله، والزهد دخول في مجال التقوى خوفاً من عذاب الله ونقمته وجبروته، والتصوف دخول في مجال الملأ الأعلى وروحه ورحمته، والزهد مناهج العمل والتصوف فلسفة روحية في الإسلام لذا نرى انه من الصعوبة ان نضع في مكان فواصل زمنية بين المراحل المتتابعة للحركة الروحية في الإسلام وتتابعها، أضيف إلى ذلك ان التطورات الفكرية أمر لا يمكن إخضاعه لعامل الزمن كما ذكرت سابقا ان بوادر ظهور تحولت نزعة الزهد بلامحها وخصائصها حسبما أشار عفيفي إلى أخريات القرن الثاني الهجري^(٥٠) أي ان القرن الثالث الهجري هو بداية علم التصوف بمعناه الديني^(٥١).

وهكذا ظهر الاختلاف منذ بداية الأمر بين الزهد الكوفي والبصري وذلك في طبقة الزهاد الوعاظ الذين كانوا يروعون الناس عن الوقوع في مزيد من المحرمات ومعناه خروج واضح عن المثل الإنسانية وقد مثل الوضوح الزهدي في البصرة واعطان مشهوران هما مالك بن دينار المتوفى سنة ١٣٨هـ* والثاني عبد الواحد بن زيد المتوفى سنة ١٧٧هـ** حيث كان مالك بن دينار مؤثراً في وعظه جداً ذكر ان خمسا من حضار مجالسه ماتوا تأثرا بكلماته الوعظية، وقد ذكر ان عبد الواحد وصف بالحزن وقد انصب وعظه على التخويف من النار بتجسيمها والمبالغة من تقريبها إلى الأذهان ومن أقوال في هذا المجال: (يا أخواتاه إلا تبكون إلى الله عز وجل، إلا ان من بكى شوقا على سيده لم يحرمه النظر إليه؟ يا أخواتاه. إلا تبكون خوفا من شدة العطش يوم القيامة؟ إلا تبكون ما بكوا على الماء البارد أيام الدنيا لعله يسقيكموه في حضائر)^(٥٢).

مدرسة الكوفة:

تاريخ الزهد في الكوفة:

يشكل الوافدون في الكوفة أغلبية عربية جلهم من مستوى حضاري^(١). الكوفة في حضارتها^(٥٤)، أصيلة، هاضمة، لا مقلدة كالבصرة^(٥٥)، تنعكس فيها الطبيعة العاطفية^(٥٦) والحكمة^(٥٧)، والابتكار. اتصف بها العنصر اليماني خاصة^(٥٨)، دليلا على ذلك ان القبائل التي أصولها يمانية متحدة فلم تؤثر على المجتمع الكوفي المسلم بقايا للديانات الفارسية القديمة^(٥٩)، التي سرعان ما انهارت أمام عظمة الإسلام كالمناوية والمزدكية والزرادشتية، والمندائية^(٦٠).

وقد اتصفت الكوفة بالأصالة العربية، فقد كان اليمانيون على جانب كبير من الحضارة، وقد أتاح لهم ان يتغلبوا على الآثار الواردة إلى الكوفة من الحضارة الأجنبية وان يهضموها^(٦١).

وقد أسهم عدد كبير من الصحابة والتابعين في نشوء حركة الزهد في الكوفة وقد يكون في مقدمتهم الإمام علي B الذي أرسى القواعد الأولى للزهد في مدرسة الكوفة وذلك من خلال خطبة التي ألقاها في مسجد الكوفة، وبعد استشهاده سنة ٤٠ هـ وكان هناك عدد من الصحابة أمثال عبد الله بن مسعود الذي له الفضل الكبير في تأسيس مدرسة قراءة القرآن وتفسيره باعتباره أستاذاها الأكبر^(٦٢) وعلى يده تكونت طائفة القراء في الكوفة، وقد أسس أول حلقة قرآنية فيها^(٦٣)، وقد بث ابن مسعود مواظمه وأحاديثه في أجواء الكوفة مؤكداً لهم قصر الأجال فيقول: (من أراد الدين اغتر بالآخرة، ومن أراد الآخرة اغتر بالدين، فدعوا اليوم الفاني). وقوله: (لو وقفت بين الجنة والنار فقل لي اختر من أيهما تكون أحب إليك أو تكون رماداً، لاجبت أن أكون رماداً)^(٦٤) ومن الصحابة أيضاً حذيفة بن اليمان (ت: ٣٦ هـ) صاحب رسول الله وقد ولاه عمر المدائن^(٦٥)، وعاش في المدائن والكوفة عيشة تمثلت بالبساطة والزهادة ودليل على ذلك قوله: (أحب يوم أكون فيه حين يأتي أهل بيتي فيقولون ما عندنا شيء ناكل لا قليل ولا كثير)^(٦٦) وقد عرف عن حذيفة انه من البكائين حين أبلى في صلاته، وقلما فرغ التفت، فإذا رجل خلفه فقال: لا تعلمن بهذا احد^(٦٧).

ومما هو معروف ان البكاء سيغدو فيما بعد سمة جوهرية من سمات الزهد وهنا أمر لا بد من الإشارة إليه، إذا لاحظنا عمق الشعور لدى الصوفيين في عصر الإسلام وكذلك التابعيين، حيث

(١) ماسنيون، خطط الكوفة، ترجمة وتعليق تقي بن محمد، صيدا، ١٩٣٩، ص ١٢.

حاولوا ان يضعوا ترابطاً ما بين هذين العنصرين، حيث وضعوا سلسلة من سلاسل التصوف يظهر فيها حذيفة بن اليمان وبين الرسول 1 والحسن البصري^(٦٨)، وهذا يعلل بمكانه حذيفة في نظر الصوفية، مع العلم انه لا توجد أي صلة تاريخية بين حذيفة والحسن البصري.

وكان أول من وصف بالصوفي هو جابر بن حيان الكوفي (ت: ٢٠٠هـ)^(٦٩) وكان بالكوفة، حيث كان مجتمعه قد شعر الألم بعد استشهاد الإمام علي B من اجل مبادئ وقيم الدين الإسلامي الحنيف، وبعد استشهاد شعير الكوفيون ولمسوا فراغاً بفقدته و ظهرت هيمنة الأمويين عليهم بعد تنازل الإمام الحسن B عن الخلافة لمعاوية وابتعاد ابن الحنفية عن الصراع السياسي^(٧٠) وكانت الكوفة قد عانت من حالة نفسية حيث ظهرت أول حركة للزهد بالكوفة هي حركة التوابين: هي حركة ذات دستور ديني بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي، وكان شعار التوابين (ربنا اقلنا عثرتنا فقد تبنا)، وعندهم شعار كصورة أولى (واقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم) لهذا ثاروا على الدولة الأموية بعد قتل الإمام الحسين B فظهرت لديهم عزيمة قوتهم على الانتماء الديني مصدقا للآية التي جعلوها شعاراً [فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ] وان الصورة الثانية للزهد الكوفي هي المقاومة السلبية ولبس الصوف وفي عهد يزيد بن عبد الملك الأموي جعلت الدولة (الخز) لباس واجبا على الرعية حتى يراجعوا الدوائر الحكومية وكان البلاط الأموي بمن فيه يرتدي (الخز) وكان هذا النسيج يؤتى به من الكوفة ثم من اليمن والأسكندرية في هذا الوقت^(٧١).

كان الكوفيون قد خارت عزائمهم واطهروا فريقا من المعارضة والمقاومة، وكانوا قد استغلوا فرصة ترويج الدولة قماش (الخز) فاندفعوا يلبسون النسيج المناقض له وهو نسيج الصوف وبهذا صار لبس الصوف شعاراً للزهاد في الكوفة وكذلك المتقين المتدينين.

و ذكرت المصادر بان قوماً من زعماء الحركة الدينية في الكوفة كانوا يلبسون (الخز) فوق ثياب من الصوف يريدون بالأولى مجاملة الدولة ومجاراتها، ويريدون بالثانية التقوى والفلاح وبهذا كان الصوف شعاراً للتصوف ومظهراً من مظاهر التصوف الكوفي^(٧٢).

أما الصورة الثالثة للزهد الكوفي فهي ظاهرة الرعب من عذاب الآخرة، وقد تمثل في جماعة كبيرة من زهاد الكوفة شغلهم الخوف من النار عن ممارسة حياتهم الطبيعية^(٧٣) فلقد عدد مشاغلهم الثقافية.

وخفت هذا الشعور الجارح، وقد علل أبو سفيان المتوفى ١٦١ هـ: انشغاله بجمع الحديث لخوفه من الجنون. ان ترك وحده ويفكر في أمر العقاب. وقد قال قائل من زهاد الكوفة في هذا المجال: إني لا اذكر شيء من أمر الدنيا لإلهي به نفسي عن ذكر الآخرة، خاف عن عقلي. وكانت النتيجة إندفاع زهاد الكوفة إلى المقابر، والإيمان بمقولة مجاورة الأموات أجدى من مجاورة الأحياء^(٧٤).

فالأموات لا يمارسون ولا يسمعون، ولا يخونون وقوله هذا لقد برزت عند زهاد الكوفة فكرة استحباب شدة النزاع للأموات. أخاف ان يشدد علي فاسئل ماذا أجاب فافتن فإذا قارنا هذا الموقف بموقف مماثل ذكر عنه النظام المتكلم المعتزلي بدا لنا الأثر الاجتماعي الذي خلفته ظروف الكوفة في الزهاد فقد ذكر النظام انه كان يقول وهو يجود بنفسه: اللهم ان كنت تعلم إني لم اقصر في توحيدك، اللهم أو لم اعتقد مثلاً إلا وستره توحيدك، ان كنت تعلم ذلك مني فاغفر ذنوبي وسهل علي سكرة الموت... قالوا: فمات في ساعته^(٧٥) وقد كانت هذه المعاناة الجماعية في الكوفة سبباً في أبراز ظاهرة اجتماعية تبناها الزهاد خاصة، وهي التطاول إلى رؤية الأموات، للاستفهام منهم عن مصائرهم ومحاولة منهم للاطمئنان على مصائر أنفسهم، وقد جاءت الأخبار ان زاهد كوفي مات، فراه صديق له في المنام. وسأله عما لقي. فقال: يصف الآخرة دار لا ينتقل أهلها عنها ولا يموتون وقال آخر إني وجدت الآخرة أفضل مما تحسبون^(٧٦).

اتصف الزهد الصوفي الكوفي بالقلق النفسي الجماعي و الشعور الجماعي بالالام و القلق بالعذاب النفسي و لبس الصوف و الانسحاب الاجتماعي والتعبد بالمقابر^(٧٧).

هذه الفكرة العامة عن الزهد في الكوفة من ناحية الصوفية ففي الكوفة استقرت مجموعة من الزهاد والذين صاروا زعماء التصوف فيما بعد، أشهرهم جابر بن حيان، أبو هاشم الصوفي وسفيان الثوري.

جابر بن حيان الكوفي^(٧٨):

يعد جابر بن حيان* في الإسلام أول من لقب بالصوفي لتعمقه في العلوم التطبيقية في زمانه لا على أساس الزهد المعروف في زمانه، واشتهر خاصة في الكيمياء، ولقب جابر بالصوفي لان في فهم بعض الباحثين: ان كلمة صوفية مشتقة من الحكمة اليونانية (سوفيا) لا الصوفي المقصود، وذلك لقب علماء الفلك بالصوف أيضا بناء على تعمقهم بفهم أسرار الكون. كما تعمق جابر بأسرار العناصر. وان أبا هاشم الصوفي المعاصر لجابر بن حيان من أوائل متصوفة الكوفة.

يذكر الخوارزمي أن كلمة الفلسفة اليونانية وهي (فيلاسوفيا) وتفسيرها محبة الحكمة فلما عربت قيل فيلسوف ثم اشتقت الفلسفة^(٧٩).

الزهد الصوفي عند المرأة المسلمة:

في أواخر القرن الثالث الهجري ظهر ميل إلى تحديد الغاية وبدأ الصوفيون يصنفون ويركزون أنظارهم باتجاه معين، وهذا ما نجده واضحا في سيرة رابعة العدوية (ت: ١٣٥ هـ) حيث تعد مثال في القرن الثاني الهجري لهذه الظاهرة التي تذكر في حب الله ولهذا استحققت بحق العشق الإلهي، وذلك لأنها استجمعت قلبها وهمتها في المحبوب. ووهبت حياتها لأنها استجمعت قلبها معه. ووهبت حياتها له، وصرفت أحاديثها إلى معاني هواه، وجردت هذا الهوى عن كل شريك.. ونقته من كل غرض وقد كان لها دور بارز في مسيرة حركة الزهد فقد (أخرجت الحياة الروحية عن هذا الزهد الذي قوامه الخوف من النار والشوق إلى الجنة وجعلته نوعا آخر أساسه الله وطاعته والأنس به والشوق إليه)^(٨٠).

لقد حولت رابعة مجرى حركة الزهد من زهد مع خوف إلى زهد وحب الله، لذاته دون أي طمع في جنة أو خوف من نار، وبذلك قالت عندما سئلت عن حقيقة إيمانها أجابت: (ما عبدته من خوفا من نار ولا طمعا لجنة فأكون كالأجير السوء، عبدته حبا له وشوق إليه)^(٨١).

وكانت بداية هذا الحب الرائع عندها زهادة كاملة في الدنيا والناس (إني لاستحي أن سألت الدنيا من يملكها؟ فكيف أسألها من لا يملكها)^(٨٢) بل زهدت فيما عند الله من مغانم).

وقد صاغت هذه المعاني شعر وارتقت بها في قمم الأمل والرجاء والأمن والأنس والرضا والحب حيث تقل^(٨٣).

يا سروري ومنيتي وعمادي	وانيسي وعدتي ومرادي
أنت روح الفؤاد أنت رجائي	أنت لي مؤنس وشوقك زادي
أنت لولاك يا حياتي وانسي	ما تشئت في فسخ البلاد
كم بدت منه وكم لك عندي	من عطاء ونعمة وإيادي
حبك الآن بغيتي ونعيمي	وجلاء العين قلبي الصادي
ليس لي عنك ما حييت سراج	أنت مني مملكن في السواد
ان تكن راضياً عني فأني	ما منى القلب (مدبراً اسعادي)

ورابعة العدوية، كما يدل نسبها، عربية الأصل، كانت من أعيان عصرها، مات أبوها وهي صغيرة، وحدثت مجاعة في البصرة، بيعت بسببها، وقد حمدها سيدها لكثرة صلاتها وسهرها الليل. وقد ماتت سنة ١٣٥هـ^(٨٤) فهي عربية الأصل وفلسفتها بالحب كانت مزاجاً من إيمان عشقها الإلهي.

ونتيجة إفراطها بالعبادة فضلاً عن طبيعتها النسائية، وقد ذكر إنها كانت تقول في مناجاتها (الهي تحر بالنار قلب يحبك)^(٨٥)، فهتف هاتف يقول (ما كنا نفعل هذا فلا تظنين بنا ظن السوء).

ويروى إنها قابلت الحسن البصري وسمعت منه، والذي يقارن بينهما يجد أن الحسن البصري

ملئياً بالخوف ومغموراً فيه. ويجدها أي رابعة العدوية مغمورة بنزعة الحب، ولا شك ان نزعة الحب أرقى من نزعة الخوف، ولم يكن حبها متأثراً بثقافات وإنما هي وجدتتها في نفسها^(٨٦). لقد كانت رابعة العدوية أول من تجرأت على معجم الحب الإنساني المتدين ودفعها إلى مرتبة الحب الإلهي^(٨٧) وهي في نفس الوقت السابقة إلى وضع قواعد الحب والحزن في هيكل التصوف الإسلامي ويذكر حلمي ان رابعة العدوية قد فتحت صفحة جديدة في تاريخ الحياة الروحية الإسلامية ومن ثم أخذت لفظة الحب تشيع بين الزهاد والعباد المعاصرين لرابعة وتظهر واضحة قوية عند الصوفية^(٨٨).

ومن الزاهدات شعوانه قد كانت تبكي وتنشد بحب الله. لقد امن الغرور دار مقامه ولا شك ان يوما ان يخاف كما امن^(٨٩) ومنهن ميمونة السوداء التي سخرت من الواعظ والوعاظ^(٩٠) والتي من كراماتها أن تركت الشياه ترعى بجانب الذئب ولما سئلت في ذلك قالت: لقد أصلحت ما بيني وبين سبيدي فأصالح بيني وبين الذئب والغنم^(٩١) ومنهن حيوته التي كانت تقول (الهي وددت ان النهار ليل حتى أتمتع بقربك) وكانت تنشد:

وليس للميت في قبره قطر ولا أضحى إلى عشر

وعندما نعاها إبراهيم بن أدهم قالت البكاء قد ترك خطأ بخدها وعند ذكرها الآخرة قالت:

من كان راكب يوم ليس يأمنه وليلة نالهافي عقب دنياه
فكيف يلتذ عيشاً لا يطيب له وكيف تعرف طعم الغمض عيناه

ولها أيضاً:

بوجهك لا تعذبني فإني أمل ان افوز بالآخرة وأنت مجاور الأبرار فيها
ولولا أنت ما طاب المزار^(٩٢)

هذه لمحة موجزة عن الزهد عند المرأة المسلمة التي تتم عن أصالة إسلامها.

مصادر البحث

- (١) بسبوني، نشأة التصوف الإسلامي، ص ٨٨.
- (٢) عفيفي، التصوف والثورة الروحية، ص ٨٣.
- (٣) ابن سعد، أبو عبد الله محمد، ت ٤٣٠ هـ، الطبقات الكبرى، دار صادر، ١٩٦٩ ٩/٤-١٠.
- (٤) غني، قاسم، تاريخ التصوف في الإسلام، ص ٣١.
- (٥) عز الدين أبي عبد جاهد عبد الحميد بن هبة الله المعتزلي (ت: ٦٥٦ هـ) شرح نهج البلاغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ، ٨/١.
- (٦) المصدر نفسه، ١٤٦/٣.

- (٧) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت: ٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٦٤، ٤٣٢/٢-٤٣٣.
- (٨) المصدر نفسه.
- (٩) المصدر نفسه.
- (١٠) عفيفي التصوف والثورة الروحية، ص ٨٣.
- (١١) الشيبلي، الصلة بين التصوف والتشيع، ١٨/١.
- (١٢) ابن سعد، الطبقات، ١٦٣/٤.
- (١٣) البلاذري، انساب الأشراف، مطبعة النقرشتي، ١٩٣٨، ص ٤٨-٤٩.
- (١٤) ابن سعد، الطبقات، ١٨٠/٣.
- (١٥) الطوسي، اللمع، ص ١٤.
- (١٦) الشعراني، عبد الوهاب بن احمد (ت: ٩٧٣هـ)، الطبقات الكبرى المسماة بلوائح الأخبار في طبقات الأخبار، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٣٧٣هـ، ٢٣/١.
- (١٧) الطوسي، اللمع، ص ١٩٥.
- (١٨) شرف، محمد جلال، خصائص الحياة الروحية في مدرسة بغداد، دار الفكر الجامعي، مصر ١٩٧٧، ص ٣٧.
- (١٩) ابن الأثير، أسد الغابة، ٢١٠/١-٢١١.
- (٢٠) ابن سعد، الطبقات، ٣١/٧.
- (٢١) الأصفهاني، حلية الأولياء، ٦٥/٢.
- (٢٢) الفركاوي، شرح منازل السائرين للأنصاري، طبع المعهد العلمي الفرنسي للآثار، مصر، ١٩٥٣، ص ٤١.
- (٢٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ١٢٧/٢.
- (٢٤) أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ٢٣٨/٢.
- (٢٥) المصدر نفسه، ٢٣٨/٢.
- (٢٦) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، (ت: ٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، طبع حيدر آباد، بلا تاريخ، ص ١٦٧، العسقلاني، الإصابة، ١٠٣/٢.
- (٢٧) أبو نعيم الأصفهاني، المصدر السابق، ١١٩/١.
- (٢٨) أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ٨١/٢.
- (٢٩) العسقلاني، الإصابة، ١٢٠/١.
- (٣٠) أبو نعيم الأصفهاني، المصدر السابق، ٢٨٠-٢٥٥/٢.
- (٣١) المصدر نفسه، ٢٨٠/٢.
- (٣٢) بيسوني، نشأة التصوف الإسلامي، ص ٩٦.
- (٣٣) البلاذري. أحمد بن يحيى بن جابر، (ت: ٢٧٩هـ)، فتوح البلدان. مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان، المكتبة التجارية الكبرى. مصر ١٩٥٩، ص ٢٤١.
- (٣٤) الشيبلي، كامل مصطفى، محاضرات في الزهد والتصوف الإسلامي، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٧٣.
- * الاتجاه الروحي في المعرفة
- (٣٥) عفيفي، التصوف الإسلامي، ص ٨٣.
- (٣٦) الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت: ٣٢٤هـ)، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق ريتز اسطنبول، ١٩٢٩، ص ٢٣١-٢٤٠.
- (٣٧) الشيبلي، الصلة بين التصوف والتشيع، ص ٢٨٥.
- (٣٨) بدوي، عبد الرحمن، شهيدة العشق الإلهي، رابعة العدوية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة بلا تاريخ، ص ٣.
- (٣٩) ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة، ١٩٥٦، ١٦٧/١.

- (٤٠) المصدر نفسه، ١/١٦٧.
- (٤١) حلية الأولياء، ١٣١/٢-١٣٢.
- (٤٢) الطبقات الكبرى، ١/٢٩.
- (٤٣) كيلاني، قمر، في التصوف الإسلامي، مفهومه، تطوره وأعلامه، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٢، ص ٤١.
- (٤٤) جمهرة الأولياء، ص ٨٠.
- (٤٥) ابن الجوزي، صفوة الصفوة، تحقيق حمد فاخوري، ط ١، دار الوعي، حلب ١٩٧٣، ٢٣٣/٣.
- (٤٦) المنوفي، جمهرة الأولياء، ٨٤/٢.
- (٤٧) ابن الجوزي، صفوة الصفوة، ٢٣٤/٣.
- (٤٨) المصدر نفسه، ٢٦٨/٣.
- (٤٩) عفيفي، تاريخ التصوف في الإسلام، ص ٤٢.
- (٥٠) التصوف الثورة الروحية، ص ١٢٢.
- (٥١) التفتازاني، أبو الوفا الغنيمي، مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٦، ص ١٢٢.
- * الإمام مالك بن دينار البصري من كبار زهاد البصرة روى عن انس بن مالك من أقواله: (خرج أهل الدنيا ولم يذوقوا أطيب ما فيها قالوا: وما هي يا أبا يحيى؟ قال: معرفة الله) ينظر: ابن خلكان. وفيات الأعيان وأنباء الزمان، ١٠/٤٤٠، ابن الأزرقي، أبو عبد الله محمد بن علي، (ت: ٩٨٦هـ)، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق د. علي سامي النشار، بغداد، ١٩٧٧، ص ٨١.
- ** عبد الواحد بن زيد. كان من العباد الزهاد، واعظاً رائداً ومن كبار واعظ البصرة وصوفيها، ومن كبار القوم وأعظم الصوفية له كرامات ظاهرة، ووقائع باهرة. انظر: السلماني، التعريف بالحب الشريف، ص ١٦٩، المناوي، عبد الرؤوف، الكوكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، مطبعة دوسة، القاهرة، ١٣٥٧هـ، ١/١٣٥.
- (٥٢) المنوفي، جمهرة الأولياء، ٨٤/٢.
- (٥٣) ماسنيون، خطط الكوفة، ترجمة وتعليق تقي بن محمد، صيدا، ١٩٣٩، ص ١٢.
- (٥٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٨٠.
- (٥٥) المصدر نفسه، ص ٢٨٠.
- (٥٦) الأصفهاني، الأغاني، ٨/٣.
- (٥٧) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجقي (ت: ٢٥٦هـ)، الصحيح، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، بيروت، بلا تاريخ، ٦٨/٣.
- (٥٨) ماسنيون، خطط الكوفة، ص ١٢.
- (٥٩) السمعاني، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت: ٥٦٢هـ)، الأنساب، تقديم عبد الله عمر البارودي، بيروت، ١٩٨٨، ص ١٥٨.
- (٦٠) النشار، نشأة الفكر الفلسفي، ٢١٧.
- (٦١) الشيباني، الصلة بين التشيع والتصوف، ص ٢٨٤-٢٨٥.
- (٦٢) الزبيدي، محمد حسين، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة، في القرن الأول الهجري، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٤٤.
- (٦٣) النشار، نشأة الفكر الفلسفي، ٢١٩/٣.
- (٦٤) أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ١٣٣/١.
- (٦٥) المنوفي، جمهرة الأولياء، ص ٦٧.
- (٦٦) ابن الجوزي، صفوة الصفوة، ٦١٤/١.
- (٦٧) النشار، نشأة الفكر الفلسفي، ص ٢٤٤.
- (٦٨) النشار، المصدر نفسه، ص ٢٢٤.
- (٦٩) الشيباني، الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٠، ص ٢١.

- (٧٠) جامي عبد الرحمن نعمان، الأنس، كلكتا، ١٨٥٩، ص ٣٤.
- (٧١) الشيبلي، المحاضرات أُلقيت على طلاب كلية الآداب جامعة الكوفة، ١٩٧٣، ص ١٦.
- (٧٢) الشيبلي، المحاضرات أُلقيت على طلاب كلية الآداب جامعة الكوفة، ١٩٧٣، ص ٢٠.
- (٧٣) المصدر نفسه، ص ٢٠.
- (٧٤) المصدر نفسه، ص ٣٠.
- (٧٥) الشيبلي، محاضرات، ص ٣٠.
- (٧٦) الشيبلي، محاضرات، ص ٣١.
- (٧٧) المصدر نفسه، ص ٣٢.
- (٧٨) أبو العلا عفيفي، التصوف والثورة الروحية في الإسلام، ص ٢٨-٢٩.
- * جابر بن حيان الكوفي (ت: ٢٠٠هـ) ذكرت دائرة المعارف البريطانية انه أبو موسى جابر بن حيان، ويسود الاعتقاد وتحقق الأدلة على انه من قبيلة أزد، القبيلة العربية التي قطنت جنوب الجزيرة العربية، واستوطن بعضهم الكوفة، بعد ان تهدم سد مأرب، وقد أبدت دائرة المعارف الإسلامية. حيث ذكرت ان أبو موسى جابر بن حيان الكوفي الأزدي، صاحب كيمياء، عربي مشهور، وليس هناك مصادر تشير إلى انه فارسي، بل عربي، واسم أبيه عبد الله الكوفي. وذكرت الموسوعة الدولية ان جابر بن حيان، كيميائي عربي، مشهور، في القرآن الثامن الميلادي. وكان والده (افراباذي) صيدلاني في الكوفة تتلمذ على يد (حرب الحميري) الذي كان مخلصا في الدعوة العباسية وقد حكم عليه بالإعدام تأثر بأراء الإمام جعفر الصادق B ودرس بعض العلوم الدينية على يديه، ثم دخل الصوفية ومال إليها. انظر ترجمته ودائرة المعارف البريطانية، ١٩٢٩، ص ٨٣.
- كحالة، رضا: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، دمشق ١٩٤٩، ٢٥/١. دائرة المعارف الإسلامية، ٢٢٦/١-٢٢٨.
- جابر بن حيان، دائرة المعارف الإسلامية، ٢٧/٢.
- الزركلي، خير الدين، قاموس تراجم الأعلام، ط ٥، ٩٠/٢.
- الموسوعة الدولية، ١٩٦٤، ص ٤٨٠.
- فريدنار نرتل، معجم أعلام الشرق والغرب، مادة ج، ص ١٢٣.
- (٧٩) مفاتيح العلوم، ص ٧١.
- (٨٠) كيلاني، في التصوف الإسلامي، ص ٤١.
- (٨١) المناوي، الكواكب الدرية، ص ١٠٩.
- (٨٢) بدوي، رابعة العدوية، شهيدة العشق الإلهي، ص ١٠٩.
- (٨٣) المصدر نفسه، ص ١٦١-١٦٢.
- (٨٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٨٥/٢.
- (٨٥) القشيري، الرسالة القشيرية، ص ٢٨.
- (٨٦) أمين، ظهر الإسلام، ص ١٣٤.
- (٨٧) كيلاني، في التصوف الإسلامي، ص ٦٥.
- (٨٨) الحياة الروحية في الإسلام، ص ٧٩.
- (٨٩) ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٣٨/٤.
- (٩٠) بسيوني، نشأة التصوف الإسلامي، ص ١٤٥-١٤٧.
- (٩١) ابن نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ١٥٨/٥-١٥٩.
- (٩٢) بسيوني، نشأة التصوف، ص ١٤٨.

In this search which I care in it do a details picture about progress and development and appearance of the Islamic asceticism and the Effect of the ascetic Moslems (Allah agree on them) in the life (think, social, economical) sides, since the Islam starting age until the end of the second Hegira century, the acceptable, in the mastership of this sides from details connected with asceticism principle since the Islam appearance as celestial religion Allah choice it and increase his status the prophet of Allah (Allah pray on him and his family) Missionary and precursor for God laws, which was and still simulation the human mind with soul of human justice, and God views of world and after world, the good element aimed for winning in this two sides, and evil element still loser in two places in world and after world.

So, the friends (Allah agree on them) and have a great minds do from the a great prophet (Allah pray on him and his family) as a symbol, and made a big step for the believed generations after them and a clear road in the asceticism which grew and developed not as a motion or bent yet as human and ethical principle of God letter, and our prophet Sunna Mohammad Bin Abed Allah (Allah pray on him and his family), and he became as a life project reverse the best ethical for Islam which speak a bout it the sky venerable value, with out any influence says, and the Islam explorer with asceticism.